

غاده السمان

عودة بشعة للاميركي ((الجميل)) !

الليلة ، شعرت للمرة الاولى ، وأنا اشاهد فيلما ، بالحاجة الى الصفيير واطلاق بعض العيارات النارية على الشاشة من مسدسي غير المرخص ، بل حمل مقص أظن به صور الممثلين ، والقاء بعض فنابل الروائح الكريهة في صالة السينما ، لان اية رائحة لن تكون أشد وبها من رائحة الفيلم المعروض !

ف « الزعرنة » السينمائية السياسية تعرض الانسان أحيانا على معاملتها بالمثل !.. وتزييف التاريخ وتمجيد « فضائل واخلاق » بعض الشعوب الاستعمارية على حساب الشعوب الطيبة النامية أمر أشد فظاعة ، في نظري ، من الافلام الجنسية التي تسارع رقابتنا الى منعها ، بغض النظر عن قيمتها الفنية ، كما لو ان جسد امرأة عارية أشد خطراً على أمتنا من الافكار السياسية الهدامة ! اسم هذا الفيلم الذي عرضته احدى صالات بيروت ، خلال اسبوعين متواصلين ، « الشارة ٣٧٢ » .

وهو يروي حكاية ضابط شرطة اميركي ، يلاحق مدمني المخدرات القادمين من بورتوريكو . والبورتوريكيون في اميركا هم من البروليتاريا والاقليات البائسة ، ويلقون - كزواجها - معاملة غير انسانية ! وفي احدى هذه الجولات البوليسية يحاول مدمن بورتوريكي الهرب فيلقي بنفسه من على السطح فيقتل ، ويعتبر الشرطي الاميركي « البريء » ، ذو الرقم ٣٧٢ ، مسؤولاً عن قتله . وتتدخل « العدالة » الاميركية ، ويتم توقيف الشرطي عن عمله ريثما تشكل لجنة تحقيق تبث في امره ، خصوصا وان هياج البورتوريكيين بلغ ذروته . وبعدها بأيام يجدون صديق الشرطي (وهو ايضا من رجال الشرطة البيض) مذبوحا بوحشية . وهنا يثور الشرطي ٣٧٢ ويعمل لكشف الجريمة رغم كونه خارج سلك الشرطة . ورغم كل ما يتعرض له من ضرب وتعذيب على يد الاقلية البورتوريكية « المنحطة » ، نجده ينتصر في النهاية ويكشف « مؤامرة » ضد اميركا ، وصفقة سلاح يحاولون شحنها الى بلادهم في بورتوريكو للقيام بالثورة وتحرير الارض . الفيلم يرسم لنا صورة الشرطي الاميركي التزيه الاخلاقي في مواجهة « الثوار البورتوريكيين » الذين يقدمهم لنا في ابشع

صورة . ففي هذا الفيلم نجد الثائر « مجنون عظمة » ورفاقه مهووسين بالجنس والمخدرات وفكرة الثورة « صبيانية » ، وهو يصور عذاباتهم بصورة كاريكاتورية ساخرة ..

وعلى طريقة افلام الهنود الحمر ورعاة البقر ، نجد الآن راعي البقر الاميركي متقمصا صورة عصرية هي الشرطي النيويوركي ، ونجد « الهنود الحمر » الاقلية ، في صورة الاقلية البورتوريكية ، وطبعا يتم حصدهم بالرشاشات على يد الشرطي المغوار كما لو كانوا سريا من الذباب . تماما كما كانت تتم اباداة الهنود الحمر في الافلام التقليدية الصليبية !..

جميع السود في الفيلم اشرار . وجميع البيض في الفيلم ابطال يتمتعون بكل مزايا اسطورة عقبرية الفرد الاميركي وتفوقه على شعوب الارض كلها !.. حتى رجل الشرطة الاسود ، نو الاصل البورتوريكي ، يجعل منه الفيلم قاتلا حتى لصديقه رجل الشرطة الابيض . هذا التمييز الهتلري العنصري نجده حتى على صعيد الفواني ! فالاميركية البيضاء نجدها في الفيلم تتحول الى سيادة فاضلة تستشهد ذفعا عن اميركا « العظيمة » ، اما المومس التي توت غارقة في افيونها وغارها فهي سراء ملونة من اصل غير جرمانى ! كل البيض في الفيلم نبلاء يحبون اولادهم ويحرصون على سعادتهم ، وحتى الابيض الوحيد في الفيلم الذي « يزل » ويفرر به السود ، انما يفعل ذلك من اجل اعالة اسرته ، ويدفع حياته ثمنا لخطيئته الزوجية والمسلكية (وربما يفعل ذلك لانقاذ ما يمكن انقاذه من تحامل الفيلم على السود !) . ولكن الفيلم لا يفسر لنا سبب ضائقته المالية ، خصوصا وان زميله الشرطي (من المفروض ان راتبهما واحد) يمتلك سيارة اميركية فخمة هائلة الضخامة حرص المخرج على استعراضها في كل لقطات الفيلم دلالة على « عظمة » الصناعة الاميركية ايضا !..

منذ اعوام افرقتنا السينما الاميركية بافلام تتحدث عن المجد الاميركي ، العظمة الاميركية ، التفوق ... الخ ، الاسطوانة اياها في اطار افلام « الهنود الحمر » ، وتبرر الابادة الجماعية لذلك الشعب الامن ... وتربينا ونحن نشاهد هذه الافلام المزورة للتاريخ ، واليوم تبدأ اميركا باصدار دفعة جديدة عصرية من الافلام تؤدي اللعبة القديمة نفسها . ولان لعبة الهندي الاحمر « البشع » انكشفت للعالم ، لجأت هوليوود الى لعبة جديدة تتلامز واحداث العصر ، فعادت تعرض لنا صورة « الاميركي الجميل » الذي يحارب « الثوار

البشعين) وشعوب العالم النامية ، وينتصر عليهم ويبيدهم ، مصورة هذه الإبادة كما لو كانت عملا أخلاقيا له مبرراته « الإنسانية » ، وذلك في سلسلة افلام جديدة شاهدة بعضها مؤخرا - وكلها يسخر من ثورات العالم الثالث وثواره - وكثرتها تدل على ان الامر قد لا يكون مصادفة وإنما نتيجة سياسة اعلامية مدبرة ... واذا كان اختراع السينما انتصارا علميا كبيرا ، فانه من المؤسف توظيف الحضارة في خدمة الحقارة ، وفي محاولة لتبرير اضطهاد اميركا للاقليات ، والسخرية من الثورة والثوار والتحرية وحق الناس في ارضهم ...

لقد كنت دائما ضد فكرة « منع » اي فيلم او كتاب او منشور... كنت دوما اؤمن بان مساوئ اطلاق الحرية اقل من مساوئ كتبها ولجهمها ...

ولكنني اقترح « مقاطعة » هذا النوع من الافلام الاميركية ، وان يتم ذلك بناء على موقف واع للمستوردين ولو كلفهم الامر بعض الخسارة المادية ، لان عرض هذه الافلام الدعاية الاعلامية المضللة جزء من الحرب ضدنا ، وبالتالي فان في عرضها خدمة لاميركا ، ولانه في حال تحقيق هذه المطامح لن يبقى لاحد منا ارض او نقود ... ولاننا جميعا المرشحون - مع شعب فلسطين - لتكون « الهنود الحمر » في الارض العربية !!

الاسبوع العربي
ه تشرين الاول

« عيد الفران » العربي !

عيد الفران ...

تقول غولدا مائير اننا هاجمناهم يوم عيد الفران ، « عندما تكرس اسرائيل يومها للصلاة والصيام » ، على حد زعمها . والمدعش ان يكون لاسرائيل عيد واحد من هذا النوع كل عام !!

فحينما ينزلق في عيوننا شريط انتهاكات اسرائيل لكل الشرائع الانسانية والاخلاقية ومذابحها ، نشعر بان عليها تكريس كل أعوامها الباقية ، للصلاة من اجل الفران ، وان عليها ان تتحدث عن « أعوام الفران » لا عن « يوم الفران » .

وحيثما تصف غولدا مائير الهجوم العربي الصاعق بأنه لم يراع التقاليد الاخلاقية (!) نشعر بحاجة الى الانفجار في الضحك والغضب معا ، تماما كما قد نشعر امام موسم تحاضر عن الفضيلة في جمعية « الدفاع عن مكارم الاخلاق » ! (التقاليد الاخلاقية الاسرائيلية العريضة (!) كانت وراء ضرب المنبئين العزل في دمشق وحمص واللاذقية) .

عيد الفران ...

كان يوم ٦ اكتوبر يوم عيد الفران الاسرائيلي . فصار يسوم عيد الفران العربي .

انه عيد غفرانا لانفسنا خطيئة ما بعد ه حزيران ، وعيد غفران التاريخ لنا ...

عيد الفران العربي في ٦ اكتوبر هو عيدنا القومي الحقيقي ... الالعب النارية فيه كانت قذائف الطائرات ...

واضح هذا العيد كانت اجساد المقاتلين العرب الذين نحروا انفسهم على مذبح التاريخ ليمنحهم التاريخ الفران ... صوت الرصاص كان أغنية العيد ... والطائرات اراجيحته ... والنصر حلواه ...

لقد سقطنا بعد هزيمة ه حزيران في هوة العزن والياس والعار ، وحملنا الهزيمة مثل حجر القبر فوق صدورنا . رزحنا تحت وطأة الشعور بالذنب . وكما يقول الدكتور يوسف ادريس : « في البداية ، كنت مثل أغلب زملائي شديد القهر للنفس والتبكيك لها والمعاينة والاحساس بانني أحد اسباب الهزيمة . ثم بدأت اكتشف ان الهزيمة الحقيقية هي ان نقف هذا الموقف المكسور » ...

« الموقف المكسور » كان من بعضه ان انسقنا الى تمجيد قسوة عدونا لنبرر امام انفسنا هزيمتنا ... ووجدت اسطورة اسرائيل التي لا تقهر أرضا خصبة في نفوسنا المكسورة ... ونسينا طرح قضية احتمالات الحرب ، وتوقفنا عند الحديث عن حالة « الاسلام - اللارح » التي توهمنا ان اسرائيل فرضتها وكستها ولا راد لقضائها !

الي ان كان يوم ٦ اكتوبر ... يوم عيد الفران العربي ... يوم استعدنا الامكانية الاشرف والقدرة الانبل : القدرة على الحرب . نصر ؟ هزيمة ؟ لا يهم ! فالحرب جولات ... المهم اننا انتصرنا على « موقفنا المكسور » ... وكان عيد غفرانا لانفسنا ...

✱ ✱ ✱

● حينما تنفجر الحرب ، أية حرب ، تصير « الكلمة » للبنديقية ، ويصير « السيف اصدق انباء من الكتب » ، ويقرر زناد المقاتل مصير الامة . ولذا يشعر الفنانون - بصورة عامة - بشيء من الخجل الضمني ، ويقفون حائرين ، ويقفون على الكلمات فوق شفاهم . يصيهم احساس الاخ الصغير الذي يرقب صراع اخيه مع عدو لا يرحم ، ويرى الدم يسيل ولكنسه لا يملك الا الصمت او نظم قصيدة مدح في شقيقه او تطبير برفية تأيد له ووعده بشرح عدالة قضيته للعالم ... وفي ه حزيران كفر الفنان العربي بالقلم ، فلفة البنديقية في زمن الحرب هي لفة الحوار الوحيدة الممكنة ... وكثيرون اعلنوا في نتاج تلك المرحلة عن أسفهم لان مهنتهم غير مجدية لامة مكتوب عليها ان تحمل السلاح لتحميا ...

ولكن ما مدى صحة هذا الشعور الآني ، الموجع ، باللاجدوى ؟

لقد أصاب بايرون ذات يوم مثل هذا الشعور ، فسكر قلصه والتحق بالثورة اليونانية عام ١٨٢٢ لانه آمن بها . كان شاعرا عظيما ومقاتلا سيئا ، ومات بعد التحاقه بالثورة بعامين اثر مرض عضال وتوبات صرع ، فجسده الهش لم يقو على ضربة الدم في الحرب ... ولكنه لو عاش لاستطاع ان يمنح ضربة الفن ، ولغنى الثورة والثوار، ولخلدها كما فعل بيتهوفن الذي كان اكثر وعيا بحقيقة مهمته كفنان في زمن الحرب . بيتهوفن كان معجبا بنابليون ، ولكنه لم يقدم طلبا للانضمام الى صفوف الحرب وانما انزوى في غرفته ليقوم بمهمته الحقيقية التي اهلته الطبيعة لها ، وهي العطاء الفني.

وكتب بيتهوفن واحدة من اجمل سيمفونياته الخالدة هي السيمفونية الثالثة واهداها الى نابليون (ثم عاد وحرمه منها لان نابليون تحول في نظره من بطل للشعب الى عدو للشعب المسألة حين شن عدوانه التوسعي على الاقطار المحيطة به وزحف على المانيا) . فعاد واسمى سيمفونيته تلك سيمفونية البطولة (لا نابليون) . واليوم ، حينما يستمع الثوار في كل مكان الى سيمفونية البطولة ، يشعرون بان بيتهوفن كان يقنيهم جميعا . لقد خرج بيتهوفن بتجربته من حدود بطولة فرد وشعب الى البطولة الانسانية وصراع الشعوب المناضلة كلها من اجل الكرامة والعدالة ... ولو ذهب بيتهوفن الى القتال لكان مقاتلا آخر سيئا كبايرون ، ولخسر العالم كنزا من الطاء هو موسيقى ذلك المبدع الكبير ... الفن والحرب معا على طريقة ابي فراس الحمداني ؟ ربما ، ولكنني اذكر بالمقابل همغفوي الذي التحق بالحرب الاسبانية فكان نصف مقاتل ونصف مبدع ولم يرق

فقط الى مرتبة بيتوهفن الابداعية .

ربما كنت أخط هذه السطور لاقنع بها نفسي ، قبل ان اقنع العالم ، لانسي ، وانا جالسة في مقعدي اخذت هذه السطور - الان الساعة الثانية من يوم الاربعاء ١٠ اكتوبر - ارى عبر النافذة معركة جوية بين طائرات العدو وأخرى سورية . ها هي طائرة تهوي الى البحر .. تهوي .. تهوي به وانا مسترخية في مقعدي (يا لخلجتي !) ويهوي القلم من يدي .

الاسبوع العربي

١٥ تشرين الاول

جائزة نوبل للسلام لطائرة فانتوم العدوان

بينما كانت مئات الطائرات الاميركية تنقل اسلحة الموت والدمار الى اسرائيل كي تتابع اقتراسها للشعوب العربية ، وبينما كان الرئيس نيكسون يعلن الحرب على العرب بلفة دبلوماسية تكتفي مفرداتها بالتحدث عن حماية اسرائيل التي « وجدت لتبقى » .. الى آخر المزوفة الاميركية العدوانية ، وبينما شعوب العالم الحر تستنكر ذلك كله ، وبينما الاميريكيون المقيمون في الشرق الاوسط ينطلقون صوب سفارتهم في بيروت في مسيرة رفض لسياسة جلادي بلادهم ، وقد حملوا اللافتات : « واشنطن ، لقد ابتاعك الاسرائيليون » - « هنري كسينجر ، مارس الحب لا الحرب » - « العرب لهم الحق في ارضهم » .. وبينما الحرب العدوانية التوسعية الاسرائيلية اميركية تقوم بمزيد من غارات اغتيال الطفولة والانسانية والعدالة ، بينما ذلك كله يدور على مرأى وسمع من العالم ، ظلمت علينا وكالات الانباء بالخبر التالي : منح الدكتور هنري كسينجر وزير الخارجية الاميركية جائزة نوبل للسلام !!! أجل للسلام !!!

للهولة الاولى يبدو الخبر شبيهاً بنكتة سمجة على الطريقة الاميركية (براكتيكل جوك) .. نكتة ؟ بل مهزلة ! انها مهزلة ان تمنح جائزة نوبل للسلام الى برميل من البارود !! فالعروف ان العالم نوبل ، الذي اخترع البارود ذات يوم ، قرر ان يكرس كل ما يملك تكفيراً عن خطيئة امكانية استعمال البارود ضد الانسانية .. وقرر انفاق كل الاموال التي كسبها من اختراع البارود على كل ما من شأنه تعزيز السلام والعدالة ، ومن هنا كانت جائزة نوبل للسلام . وبعد حرب حزيران باشهر ، تم منح جائزة نوبل للكاتب الاسرائيلي اجنون ! وكانت صدمة للعالم الحر ، فقد كانت لجائزة نوبل يومئذ هالتها كقيمة انسانية .. وطرحت يومها تساؤلات كثيرة عن الاعتبار (غير الانسانية) التي لعبت دورها كي تمنح جائزة نوبل لبرميل من البارود !!!

وظلت هناك فئة من حسني النية اشادت « بالاسلوب الادبسي الجميل » لاجنون ، ورغم يقيننا بان الاسلوب امتداد للفكر ووعاء له ، وبالتالي ليس هنالك اسلوب جيميل اذا كان المضمون عدوانياً ولا انسانية ، مع ذلك سكتنا ، بل كدنا ننسى لاننا بدلا من مقاطعة جائزة نوبل عدنا نتحدث منذ أشهر عن ترشيح كتاب عرب « للفوز » بها ..

اما الآن ، فما هو المبرر لمنح وزير خارجية اميركا ، أي المنفذ لسياستها العدوانية المقتضية ، جائزة السلام ؟ صحيح ان الجائزة منحت مناصفة بينه وبين لي دوله نو ، الثوري المناضل المقاتل الذي أجرى واياه محادثات أدت الى اقرار السلام في فيتنام ، ولكن هل يشفع ذلك لكسينجر الذي اغلسق

فيتناما ليفتح في أرضنا فيتناما اخرى ؟ كسينجر يصافح لي دوله نو بيد ويعطي الاشارة للطائرات الاميركية الالف ، المحملة بالموت ، للطيران الى شرقنا الاوسط والبدء بحرب عدوانية جديدة ! انه دكتور جيكل ومستر هايد السياسة الاميركية ، في يده غصن الزيتون ، وفي الاخرى خنجر يقطر بدم العرب ، فكيف يمنح جائزة نوبل للسلام في اليوم ذاته الذي يبدأ فيه مذبحه « ماي فير » جديدة !؟

لو قدم كسينجر استقالته احتجاجاً على شحن الاسلحة الى اسرائيل لاستنطنا ان نفهم مبرراً لمنحه جائزة السلام ... ولكن ! ولكن ، أين تعيش اللجنة القيمة على جائزة نوبل !؟ هل تعيش في محجر فكري ولا تعرف شيئاً عما يدور على وجه الكرة الارضية ، الذي جرحته عدوانية اميركا في اكثر من موضع ، وتوكت فيه ندباً لا تندمل آثارها أبداً !؟

ألا يقرأ افرادها الصحف ؟ ألا يستمعون الى الاذاعات ؟ ألم يشاهد احدهم قط صورة طفل أحرقه النابالم الاميركي في فيتنام او فلسطين او سورية او مصر ؟ هل يظنون ان كسينجر يشحن على الطائرات التوكولاته و « البونبون » والدمى لاطفال الشرق الاوسط ، والحمام الابيض وغرسات الزيتون لاهلها !؟ - بلى .. كان يشحن لنا الدمى : اميركا تصنع لاسرائيل فنانبل على شكل دمي الاطفال ، نرمي بها طائراتهم ويحترق بها أطفالنا حين يحاولون اللعب بها - (معلومات من تقرير الاطباء الموقدين الى سورية) .

اذا كان النقص واقعا ، فان أي انسان مجهول ، من الآلاف الذين ينتحرون كل يوم ، أطلق على نفسه الرصاص لحظة اعلان منح جائزة « السلام » لرجل « العدوان » ، هذا الانسان هو المنقص لروح نوبل .. وسوف يطلق على نفسه الرصاص او يفجر بها برميل بارود كل مرة تمنح فيها جائزته لرائد من رواد الحرب !

★ ★ ★

● في نطاق اسبوع الاغتراب اللبناني تنظم جامعة اللبنانيين في العالم مهرجاناً للقاء الشعر بين الثانويين والجامعيين . نعم ! مهرجاناً للقاء الشعر !.. كان ما يدور بيننا وبين اسرائيل هو « مساجلة شعرية » لا حرب ب « الفانتوم » ! كأننا في سوق عكاظ لا في ساحة حرب ! هذا بينما ينشط يهود العالم لجمع التبرعات ، وقد جمعوا مئات ملايين الدولارات في أيام ، وأيام اخرى وتتحول الملايين الى طائرات وقنابل تهبط فوق سماتنا ، وقد تسقط واحدة منها فسوق مهرجان الخطباء ! ما أشد اغتراب المقربين عن لبنان ! بل ما أشد اغتراب بعض اللبنانيين عن لبنان !

فيما كان بعضهم مشغولاً في بيروت بانتخاب اجمل كلب وارشق كلب ، كان عشرات اللبنانيين على بعد كيلومترات عديدة منهم يحصدون في جنوبي لبنان بمنجل القنابل والموت والدمار ... وينامون وملاء افواههم الدماء .

المهم ان اجمل كلب نام ليلتها وقمه ملائ بالحلوى !..

الاسبوع العربي

٢٢ تشرين الاول

• • ونسوا انهم عبروا النهر ليلة الميلاد !

● غريب أمر هذا العالم !

فجأة صار بعض الصحافيين الاميركيين والغربيين عاطفين اكثر من روميو ، رقيقين اكثر من سيرانو دي بيرجرارك ، متمسكين باخلاقيات المبارزة اكثر من الكونت دي مونت كريستو !..

مبدعيه ؟
عفو الكلمة ! فالابداع سلوكية كونية راقية لا يعرفونها .

★ ★ ★

● « عندما يقضي «الجيتان» في الحرب ، يحتفل ذووه بموته فيقيمون الولائم . اما عندما يولد لهم طفل ، فاتهم ينتحبون لدخوله هذه الدنيا حيث سيلقي العذاب ، لا مناص » (من كتاب « الحقيقة ولدت في المنفى » لفانتيل هوريا) .

وعندما تان الاسبارطيون يذهبون الى الحرب ، كانت الام تقول لابنها : « ارجع بدرعك او محمولا عليه » .

وحيثما فاهت حرب التحرير في اوكرانيا ، بقي بين السنش المقاتلين اربعة كبار في السن . فلم يكن ممكنا ان تجد بينهم اناسا طاعنين في السن ، اذ لا رجل من زابورجي مات ابدا ميتة طبيعية . كلهم يموت في الحرب فقط !

من زمان كان العرب يعثون باولادهم الى البادية كي يتعلموا الشعر وانفروسية . اليوم ، ابثوا باولادكم ايها العرب الى سورية وربوهم هناك ، ففي سورية بدأت تتكون اخلاقيات عربية حربية جديدة معاصرة ... وستكون لنا حكاياتنا التي نمنحها للتاريخ بعد طول غياب ...

★ ★ ★

● في ه حزيران اعتنقنا الحزن .
في ٦ تشرين اعتنقنا الفرح .
متى نمتق الحقيقة ؟

أرسطو قال : « الجاهل يؤكد . العالم يشك . والمراقب يتروى » .

متى تتروى في الحزن والفرح ؟

الاسبوع العربي
٢٩ تشرين الاول

عرس الدم في دمشق

حينما اغمض عيني ، تندلع الحرائق فيهما . ففي عيني اخترنتك يا دمشق ، حملتك عاما بعد عام ودرت بك الدنيا ، ودارت بي الدنيا وكنت ابدا ملجأ ومبكي ومبخرتي وبوصلتي ، وتوغيذتي التي بها أطرده شرور العالم ... وكنت الجزيرة الوحيدة المخضرة في بحار الذاكرة الدامية .

مثل زهرة دوام الشمس كنت أدير وجهي ملاحقة رقصة العصر المسعورة ، ولكن جنودي كانت ابدا مفروسة في « فاسيونك » ونسفتك يصب في شراييني ، وكانت القرية عنك مزيدا من الالتصاق برحم تاريخك ...

دمشق ، يا العريفة كسنديانة الاساطير ! طيورك المهاجرة تظنك اينما كانت ، تحترق أجنتها اذا مرت بصمودك صاعقة ... دمشق ، يا لؤلؤة الزمن ! ليست صدفة ان تضربك اسرائيل ، فانت أقدم

ففي اكثر الصحف والمجلات الغربية التي طالعتها في الآونة الاخيرة ، لاحظت ان الكتاب يركزون على ان مصر هاجمت اسرائيل يوم الغفران المقدس ... وان عبورها للقنال واليهود مشغولون بشعائرتهم الدينية عمل غير اخلاقي .

من الضروري تذكير اولئك السادة بان بظلم جورج واشنطن سبق له ان عبر نهر بوتوماك (نهر اميركي) بجنوده ليلة عيد الميلاد كي يقاوم الجنود البريطانيين ، وانه اغار عليهم بينما كانوا مشغولين بتناول عشاء « الكريسماس » . وهم يدرسون هذه الواقعة في كتبهم المدرسية بكل فخر ، ويعتبرون هذا العمل من دلائل ذكاء بظلمهم القومي ! ..

★ ★ ★

● اليزابيت تايلور رعت حفلا في روما لتأييد حرب اسرائيل وجمع التبرعات لها ، وكانت الامبراطورة السابقة تريا تمنح الحفل « بركتها » !

ليزا مانيللي الموهوبة ، التي احببناها في فيلم « كابازيه » ، تصل قريبا الى اسرائيل « لترفه » عن الجنود هناك .. الاميركي داني كاي وصل وياشر نشاطه « الترفيهي » !

انريكو ماسياس ، لينونار كوهين ، توبول ، وغيرهم من الفنانين جندوا ولاءهم لوطن اللولاء للانسانية !

الامبراطورة تريا هي مجرد امرأة عادية عائرة الحظ ، وممثلة فاشلة ، وليس لانحيازها لاسرائيل أي مدلول فكري . ربما كانت شجرة تلك الليلة فذهبت الى أول حفل دعيت اليه !

ولكن ماذا عن بقية الفنانين الذين لا يخلو بعضهم من الموهبة ؟ يمكننا القول ببساطة : اكثرهم او كلهم من اصل يهودي ، ولذا انحازوا الى اسرائيل . ولكن هذا التفسير يصلح للحديث عن الناس العاديين ، حيث الولاء العشائري فوق الولاء الفكري ، ولكن ماذا عن المبدعين ؟ اليس من المفروض ان ولاء المبدع الوحيد هو للحقيقة وللعدالة ، اي للجمال وللحب ولكل ما هو انساني في هذه الحياة ؟ ان الانسان لا يستطيع ان يكون فنانا مبدعا الا اذا كان يحمل البراءة والعدل الى العالم ، وكان ولاؤه الوحيد هو للحقيقة قبل رابطة الدم او الدين . الفنان هو اندي انعتق من تدجيل الولاءات العادية ليصير جنديا في معركة الحقيقة والصدق والانسانية ، فكيف يمكن لمن هو كذلك ان يصير مرفها عن جيش مكرس للعدوان والاقْتصاب ولتدمير العدالة والفرح والحب ؟!

من هنا ان اي فنان حقيقي هو حكما عدو لاسرائيل ما دامت اسرائيل عدوة لكل المثل والقيم التي يحيا الفنان ويموت لاجلها ... ولكن ببساطة ان الشخصية اليهودية ما تزال بدائية الولاء والانتماءات ، حتى لدى مفكرها وفنانيها (الا في ما ندر ، مثل المستشار كرايسكي الذي كان ولاؤه للنمسا لا لاصله اليهودي) .

فاذا كان هذا حال مبدعيها ، فمسل على أية درجة من التخلف العشائري نجد بقية افرادها ؟! ان تيه بني اسرائيل ، الذين يقربون في الارض ، ينبع من داخلهم ، من حسهم الوهوم بالتفوق الى حد ولائهم لشهواتهم بدلا من ولائهم للانسانية والعدالة ... ولن يكون هنالك سلام لا لهم ولا لنا قبل ان يطوروا حسهم الانساني بقسدر ما طوروا حسهم التجاري . ومجيء فنانيين من اصل يهودي الى اسرائيل للرقص في وليمة العدوان هو ادانة اضافية للشعب اليهودي ، واثبات على ان العشائرية لا العقل تتحكم بسلوكه حتى فنانيه ومبدعيه .

باستمرار ، بصمت ، يهدوء ، وكاد صفيحه يطمر النفوس ويحجر
الآمال بيعث جديد لامتنا ... حتى وكالة الأنباء الفرنسية لاحظت
ان ردة فعل المواطنين في دمشق على الفارة لم تكن عادية ، فسرت
ذلك بقولها ان « الفارة أثار الفصول في شوارع دمشق أكثر مما
أثارت الفرع » ! اذ لم يعد لدى المواطن العربي فرع يكبر فزعه من
الاستسلام لحالة « الاسلام - الاحرب » على الطريقة الاسرائيلية .

دمشق ، هانوي العرب ... فصحيح ان عشرات البيوت
تهدمت فوق رؤوس اصحابها ، والسيارات انفجرت بأهلها ، واغصان
الاشجار في الشوارع حملت ثمار الحرب البشرية المزرقة الدامية ،
المعمدة بعرس الدم ، الا ان الشمس عادت تشرق من جديد في عيون
أهلها . ففي كل شارع ، وكل زقاق ، وعلى سطوح المنازل ، وفي
شقوق الارض المحفورة بالقنابل ، وفي مسام التراب يفور المقاتلون
الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين 15 سنة و 60 سنة : الرشاش
في كتف ، وسلية الاكل في الكتف الاخرى ، والكمادات على وسطهم .
الحياة العادية تتسلل من جديد الى قلب المدينة ، والطائرات الاسرائيلية
تتابع تسللها الى سماء المدينة ، وفي أية لحظة قد تطلق صفارات
الانذار زغرودة جديدة في عرس الدم . انها الحرب ، وها هو انسان
عربي مفايل يعي موقعه الحقيقي ، ولم يحدث أبدا ان أطلق أحد
رشاشه حزنا على فقيده تحت الانقاض او احتفالا بنصر (كما يحدث
في أقطار عربية اخرى ما زال السلاح لديها من لوازم الافراح ودفن
الموتى فقط لا غير !) فالسلاح لصدر العدو ، والعدو فقط .

دمشق الحرائق تضيء منارة في ليل ذلنا الطويل ...
وعرس الدم في دمشق لا يمكن ان يخلو من نعمة باكية آسيانة ،
فالحرث هي الحرب ، والطبيعة البشرية لا تتبلل ، لكن النعمة
الفالبة في سيمفونية الحرب السورية هي الوعي الجماعي بأنه لا مفر
من دفع ضريبة الدم من أجل الحياة بكرامة ، وذلك يتم بقبول واع
رزين أكثر من « يوفوريا » خطابية ...
في دمشق ، حمص ، اللاذقية ، بانياس ، وكل المدن السورية
الصامدة ، يواجه المواطنون الحرب بنضج عربي تتكشف عنه نفوسهم
يوما بعد يوم . انها الحرب تتكشف معدن الشعوب كما النار تكشف
الذهب .

المهم ان خرافة الطيران الاسرائيلي الذي لا يقهر ، كما لو كان
سريا من طيور الاساطير ، هذه الخرافة سقطت في دمشق ، وخلصت
في شوارعها حطام الطائرات منحوتات وأنصاب مجد ...
والمهم انك تجد اليوم في شوارعها « معرض دمشق الدولي
لبحث الطيران الاسرائيلي » . والطائرات الاسرائيلية ، التي كانت
شيئا خارقا ، بدأ الناس يهرون بحطامها بشيء من الاعتياد كما
لو كانت من معالم دمشق .

دمشق الحرائق ، يا مدينتي اللهبية ، المضيئة ، انت اليوم
بحق جمره آملنا المتوقدة ، وعروس المجد في عرس الدم ! وايشما كنا ،
فكل رصاصة تنطلق عليك تستقر في صدورنا ...

الاسبوع العربي
١٢ تشرين الاول

مدينة في التاريخ ، وفي مجرد وجودك تحد لكل ما يفتقد الى العرافة
والاصالة والعظمة الانسانية . لقد كنت دوما مقبرة الفزاة ، وكل
هجمة بربرية « تيمورلنكية » كانت تنكسر عند اقدامك ... وهذه
ليست أول مرة تحاول فيها فئات مقاتلة هجينة تطويعك ، ففسي
لوائحك السريانية والارامية وفي لوائحك المكتوبة بأول أبجدية
اخترعها العالم ، حكايات دفاعك عن الانسانية والاصالة ، وخايبه
الفرح المعتقة في أرضك ... ولبنى اسرائيل مطامح فيك منذ عهد
داود الذي هزمك الى حين ، كما هزمت في ١٩٦٧ الى حين .

هل هي صدفة ان الفارة الاسرائيلية الاخيرة اصابت ، فيما
اصابت ، ما يلي : مستشفى الشرق الاوسط ، المركز الثقافي
السوفياتي ، دار المعلمين والمعلمات ، نقابة الاطباء ، مبنى الاذاعة
والتلفزيون ، بيوت المدنيين ؟

اي انها ضربت ما يلي : مستشفى ، مدرسة ، مركز ثقافي ،
مركز اعلامي ، أبرياء عزل ؟!

الا تختزل اسرائيل بهذه الفارة وحدها كل ما تمثله ، وتكتب
صيفتها بكلمة حروفها القنابل ، تقول ببساطة : « انا ضد الثقافة
المثلة بالمركز الثقافي . ضد الانسانية المثلة بالاطباء والمستشفيات .
ضد الطفولة والبراءة المثلة بالاهلين العزل . ضد الحضارة واللغة
المثلة بمركز اعلامي ؟ » . وهل كانت صدفة ان تضرب اسرائيل شارع
السفارات لتعلن عن عدائها الشامل لشعوب العالم كله ، وهل هي
صدفة ان قتل وجرح في الفارات رجال ونساء من الامم المتحدة
يحملون جنسيات الدول الآتية :

هولندا ، بولندا ، فرنسا ، باكستان ، ايرلندا ، النروج ،
الهند ، روسيا ؟

هل هي صدفة ، أم هو بيان لخطة عمل اسرائيل ، وبرقيصة
مكتوبة بالصواريخ تحمل اعترافات اسرائيل بنواياها وتهديداتها
للعالم المتمدن بأكمله ؟!

وحين فقد العدو أعصابه أمام هزائمه في الجولان ، وانطاسق
يضرب على غير هدى ، ألم يكن عقله الباطن هو الذي يحدد أهداف
العدوان ، فكان الهدف ممثلي العالم في شارع السفارات في
دمشق ؟

عشرات الطائرات حملت الجحيم وركضت به فوق وجه دمشق
الناصع ، جرحته ولكن ما ظفرت بدمعة ، زرعت فيه الحرائق ، اشعلت
مدرستي وبيتي وشارعي واسرتي وقبر أبي ... ولكن ما هم ! دمشق
الحرائق تضيء .. وكالفينيقي تولد من الرماد . وكل الامم المقاتلة
من أجل الحق والانسانية ، بنيت ثوارها من حطام البيوت ، ويخرجون
من الزجاج المحطم ، كما تنشق الكمامة موت الصحراء وتخرج من العدم
حين يمر بها طائر الرعد .

يوم الثلاثاء ٩ اكتوبر ، الساعة ١٢ ظهرا ، بدأ عرس الدم في
دمشق . أمطرت السماء نارا وزجاجا مسحوقا وحديدا وأجسادا
ممزقة . ونبئت انياب دمشق وأظفارها ، وولدت هانوي العربية ،
وصارت شوارعها أنهار مقاتلين ، ولم يهرب المواطنون الى الملاجئ ،
بل وقف أكثرهم يتأمل ما يدور كما يخرج الناس من بيوتهم السي
الحقول حين يهطل المطر للمرة الاولى مع الخريف ...
مطر القتال ، مطر الدم ، مطر النار كان يرذا وسلاما على
قلوبهم التي قتلها القهر طيلة أعوام ستة تساقط خلالها ثلج الثل